تاريخ اضطهاد النساء وثقافة المجتمعات

البطرياركية - المجتمع الأبوي..

القسم الثاني

ذكرت في خاتمة الجزء الأول من هذه الدراسة أن هناك حشدا من العناصر التي أسهمت في تكوين ثقافة مجتمعات معينة ورسخت التمييز ضد المرأة وفي مقدمتها البطرياركية و(الجينو فوبيا) والاقتصاد الريعي- فالبطرياركية تولد الخوف من المرأة (الجينوفوبيا) و(الاقتصاد الريعي) يعزز (البطرياركية) ويضعف الديمقراطية ويناقض الحريات، وبذا تتكون لدينا سلسلة مترابطة من العناصر تفرض التمييز المفرط ضد النساء وتنمو من خلالها قوى مضادة للحريات تعمل - على تحطيم عرى المشاركة بين الرجال والنساء وتحول دون امتلاك النساء لحقوقهن الإنسانية التي أقرتها الدساتير الحديثة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

لطفية الدليمي

بقايا المجتمع الأمومي

فندت الدراسات الانثروبولوجية والتاريخية الحديثة – النظرية القائلة بأسبقية النظام الباتريركي على النظام الأمومي، فمن خلال تقصي مكانة الأنثى وقيم الأنوثة والأمومة في المجتمعات القديمة أثبتت هذه الدراسات بأن أول النظم الاجتماعية كان أمومياً وهذا ما يفسر ظاهرة انتساب الأبناء إلى الأم أو ما كان يسمى (حق الأم) وقد ترتبت عليه علاقات وحقوق ومفاهيم أخرى كثيرة كالإرث على نحو ما تعارف عليه المجتمع الأمومي..ولا تزال هناك بقايا من المجتمعات الأمومية فعلى سبيل المثال توجد أقلية عرقية مسلمة في اندونيسيا تسمى (مينانغ كابو) تعيش في سومطرة الغربية، وبرغم أن الإسلام يقوم على النظام الأبوي وتوقير الذكر إلا أن هذه المجموعة تتبنى النظام الأمومي وتنتقل الوراثة لديها من الأم لإبنتها، فالأم تمتلك كل ما يعود للأسرة من أملاك وثروات وهي تورثها لبناتها، ويرى علماء الانثروبولوجي أن هذه المجموعة العرقية تعد من أوسع المجتمعات التي تتبنى النظام الأمومي راهناً، ووفق تقاليد هذه المجموعة فإن الرجل عندما يتزوج فانه ينتقل إلى منزل زوجته ولكن كافة القرارات التي تخص الأسرة الجديدة تكون باتفاق الزوج والزوجة ولا ينفرد أحدهما بالقرار.. يقول رئيس لجنة العلوم الاجتماعية في أكاديمية العلوم الاندونيسية (النساء هن صلة الوصل بين الماضي والحاضر، وهذه المجموعة العرقية تشكل نسبة ٣٪ من سكان اندونيسيا وهي تواصل الحفاظ على تقليدها الاجتماعي وتدين بدين الإسلام ولا يرى أفرادها تعارضا بين الدين الإسلامي وبين نظامها الاجتماعي، فالقيادة الدينية والسياسية للرجال، بينما تكون القيادة الاقتصادية والعائلية وتعليم الأولاد وتدبير الميزانية للمرأة، ويتقاسم الجنسان اتخاذ القرارات بالتصويت في الأمور العامة ولا يمر أي قرار في هذا المجتمع ما لم توافق عليه النساء حصرا، وتوجد أشباه هذه المجتمعات في القبائل المعزولة وبقايا هذا النظام مشهود لها في مجتمع الطوارق حيث لا تزال النساء يتسيدن مفاصل العلاقة الاجتماعية ولا يعترف الطوارقي بموضوعة تفوق الرجال على النساء وما زال الرأي الأول يعود إلى المرأة في مجتمعات الإسلام الطوارقي في زواجها حتى من خارج عشيرتها، وفي تسيير شؤون أسرتها وأبنائها، وهي محترمة في زواجها مثلما هو الأمر في طلاقها، أو عند ترملها، فأبناؤها بعد الطلاق، كما عند وفاة الزوج – يعودون إلى عشيرتها وبعض الطوارق يقيم حفلاً خاصاً لتكريم المطلقة منهم، يأتيها فيه بالهدايا).

وحرية المرأة في أعرافهم مضمونة إلى حد كبير من قبل المجتمع، قبل الزواج وبعده، فالفتاة الطوارقية تتمتع بجميع المزايا التي يتمتع بها الفتى الطوارقي، بل لعل تعليمها متقدم على تعليمه، وهي فخورة بتراث أجدادها وتشعر بأنها مسؤولة عن المحافظة على قيمه المادية والرمزية، وعن تمريره إلى أبنائها وبناتها من بعدها، والطوارق كافة يعتقدون أن صفات النبل والشرف تنتقل عبر النساء لا عبر الرجال، لذا هم محافظون في إسلامهم – وخاصة في العائلات المرموقة – على أن ينسبوا أبناءهم دائماً إلى أمهاتهم، ولا يرون في ذلك عيباً أو تعارضاً مع القيم الدينية، بل يعتقدون أن الإسلام كرم الأم وقدمها على الأب عندما اشترط رضاها على أبنائها حتى يكون ثوابهم خيراً. محسن التليلي في كتابه (ظاهرة الإسلام البدوي- الطوارق أنموذجا – دار الطليعة) ويكاد يكون تعدد الزوجات معدوما في مجتمع الطوارق بل مذموم ومنبوذ رغم إباحته في التشريع الإسلامي وتبقى مكانة المرأة والرجل لديهم متوازنة في حدود أعرافهم الموروثة..

النظام الأبوي البطرياركي

استخدمت العديد من أنظمة الاستبداد فكرة "الامتياز الإلهي" ولا تزال معظم النظم الاستبدادية المعاصرة تعلن ذلك مما يعني أن الدولة المعاصرة الاستبدادية لم تختلف كثيراً عن سلطة وسطوة القبيلة في المجتمعات البدائية، حيث هيمنة الشيخ أو الزعيم الذي يدعي تخويله من السماء وانه أحق من سواه بالحكم – ليس لكفاءته- بل لأنه المختار والحامل بعضا من قداسة موروثة، وهذا النظام يبيح للرئيس – الأب – البطرك أن يمتلك كل شيء بدءاً من الأراضي وثرواتها والناس وأرواحهم وفي المقدمة امتلاكه للنساء والتصرف بمصائرهن زواجا أو منحهن للعدو (ديّة عن قتيل) أو حرمانهن من اختيار حياتهن فهن ملك يمين الأب الشيخ الزعيم أسوة بالماشية – فقد تطلب قبيلة أخرى منه دية عن قتلاها عددا من النساء يذهبن ذليلات إلى القبيلة المعادية ويعاملن كعبدات.

وبالرغم من كون بعض المجتمعات العربية المعاصرة قد انتقلت بحسب مؤثرات خارجية إلى استخدام النمط الديمقراطي في اعتماد صناديق الانتخاب إلا أنها في حقيقتها لا تزال تمثل النمط الأبوي القبلي وما انتقال الاقتصاد لديها إلى ما يشبه النظام الرأسمالي إلا لكونها تدور في فلك دول كبرى رأسمالية ويتحكم بمجتمعاتها نمط الاقتصاد الريعي المساند والمعزز للنظم البطرياركية والمضاد للديمقراطية والحريات، فهذه الدول ذات اقتصاد هامشي تابع – وتصادف أنها تمتلك النفط على أرضها وهي تشارك في الإنتاج لكنها في الواقع خاضعة إلى قوانين وأعراف المجتمع القبلي الأبوي – ولا دور لها في عملية الإنتاج وينحصر دورها في استهلاك منتجات الدول الرأسمالية مقابل النفط، فعوضا عن غزوات القبيلة على قبيلة أخرى في النظام القبلي السابق من اجل الثروة والنساء لا تزال أهداف الحروب الأهلية والحروب المحدودة بين الدول هي الحصول على الثروة وتحويل الأرامل واليتيمات الى رقيق بشري يباع ويشترى. لا يقر النظام البطرياركي المساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين النساء والرجال بل يؤكد قصور المرأة ودونيتها وضرورة قوامة الرجل على المرأة مهما كانت مكانتها العلمية والفكرية، وهذا ما تحاول السلطات المشبعة بالنزعة الذكورية المفرطة تمريره في مجتمع بدأ يأخذ بأسباب الديمقراطية، ويعرقل هذا المجتمع الأبوي القبلي فكرة المساواة لأنها تهدم احد أهم الأسس التي يقوم عليها وهي ملكية الرجل للمرأة والثروة والتصرف بمصيرها، ونرى الآن ظهور الدعوات الرافضة للمساواة من قبل الموكلين أو الموكلات بشؤون المرأة في العراق الآن لعدم إيمانهم بالديمقراطية أساساً ونتيجتها الحتمية الحرية والمساواة بين أفراد المجتمع والتي تفقد المجتمع البطرياركي سطوته القديمة على أرواح رعيته – ونسائه في المقام الأول، فالقيم القبلية الأبوية لا تعترف قط بكون المرأة كائنا ذي إرادة حرة، بل أنها تحتفظ بقدر كبير من الخوف التاريخي الذي يكنه النظام البطرياركي للمرأة وهو ما يطلق عليه اسم (الجينو فوبيا) أو رهاب النساء ويعمد النظام الأبوي حتى في ظل القوانين والدساتير القائلة بالمساواة والحريات الشخصية إلى الالتفاف عليها ومحاصرة النساء بوسائله المختلفة كفرض أزياء محددة أو منع الاختلاط بدءاً من المدارس الابتدائية وحصر المناصب وإدارة المؤسسات بأيدي الرجال وإن كانوا بلا كفاءة اعتمادا على الانتماء القبلي والعرقي والطائفي ويؤدي هذا التمييز إلى هدر طاقات نصف المجتمع وحصر أعداد هائلة من النساء في المهن الخدمية وحرمانهن من تسنم المناصب الإدارية العليا التي تستدعي اتخاذ القرار لأسباب تقع بين الحرص على ديمومة النظام الأبوي وبين (الجينوفوبيا) الخوف من المرأة..

(يتبع)

من البرج العاجي

▪ فوزي كريم

شعر الصوت

بصورة متزامنة مع "شعر الجاز"، الذي تحدثت عنه الأسبوع الماضي، ظهرت ملامح "قصيدة الصوت" Sound poem، أو "الشعر الصوتي". لم تظهر في أمريكا هذه المرة، بل في قلب أوربا الحرب الكبرى الأولى. ظهرت مع "المستقبليين" و"الدادائيين"، الذين كانوا يرون أن "قصيدة الصوت" كانت معنا منذ فترة طويلة، وبصيغ عدة: صيغة الشعر الشفاهي المبكرة، وصيغ النطق التي تطلقها الحنجرة عن غير وعي. تعرفنا على هذه في تراتيل القبائل البدائية، وتراتيل الحضارات الأولى. ولكنها في صيغتها المعروفة اليوم وليدة ابتكارات القرن العشرين، تطورت بتطور أشرطة التسجيل الصوتي، وظهور حركة "الموسيقى الكونكريتية" عند نهاية أربعينيات القرن العشرين.

المستقبلي "مارِنَتّي" كتب في ١٩١٤ أول قصيدة صوتية بعنوان "زانك تومَبتومب"، والآخر "هوغو بال" يروي أنه قرأ في "كاباريه فولتير" في مدينة "زيورخ" عام ١٩١٦ قصيدة دون كلمات ذات معنى يقول فيها:

غادجي بَري بِمبا
غلانْدْريديلاولي لونِي كادوري
غادجاما غرامًا بَريدا
بمْبالاغلاندريغلاسّاسّا...

في "دادا: الفن وضد الفن" (١٩٦٤) كتب هانس ريختر عن الحدث قائلاً: "كان هذا أكثر مما ينبغي". فالجمهور، كمن يتعافى من ارتباك الوهلة الأولى، سرعان ما انفجر.. واستجاب إلى الشاعر "بال" بعاصفة من التعاطف". ولعل الظرف آنذاك، ظرف اليأس الذي فاضت به سنوات الحرب العالمية الأولى، يقف وراء عواطف كهذه.

ما أن انسحب الشاعر "هوغو بال" من الساحة، حتى شغل الفراغ شاعر لا يقل دراية هو "كَرت تشفيتَرز" (١٨٨٧ ــ ١٩٤٨). المتحمسون لهذا الضرب من الابتكار يجدون قصيدته "يورسونيْت" تحفة رائعة للمرحلة المبكرة من حركة "شعر الصوت". قرأها الشاعر "تشفيترز" في "بوتستام" عام ١٩٢٥، واستقبلها الجمهور بالحماس ذاته الذي عرفناه مع قصيدة "بال". تقول القصيدة:

أووووووووووووووووووووووووووووووبي بي
بي بي بي بي بي بي بي بي بي بي
أووووووووووووووووووووووووووووووو زي
زيزيزيزيزيزيزيزيزيزي....

في "قصيدة الصوت" عادة ما تُحرّف العلاقة التراتبية بين صوت الكلمة وبين معانيها. ولعل الذي ساعد على هذا هو هذا الميل إلى التمرد على سطوة الثقافة المطبوعة من جهة، واندفاع باتجاه اعتبار العمل الشعري "شيئاً في ذاته"، وما من معنى خارجه يسعى إليه التفسير والتأويل. هذا الميل جعل القصيدة مجرد تكوين بصري من جهة، ومجرد تكوين صوتي من جهة أخرى.

"قصيدة الصوت" تسعى، كما جاء على لسان أحد روادها: "إلى تحطيم الرابط النحوي للجملة، والتخلي عن صيغ الصفة والحال، واستخدام الرموز الرياضية والموسيقية بدل النقطة والفارزة، ورمي نظام الصورة في لجة الفوضى، وخلق مخيلة غير مُعاقة، وقتل الرزانة، وجعل الأدب قبيحاً بصورة لا رحمة فيها." إنها شكل فني يوصل بين ضفتي ما هو أدبي وما هو توليف موسيقي، حيث تتصدر فيها الهيئة الصوتية للكلام بدل أن تحتل قيم المعنى هذه الصدارة: شعر دون كلمات، ولذلك عادة ما يؤلف "شعر الصوت" للإلقاء فقط.

في أواخر سنة تسعين من القرن الماضي كتبت عن عرض قدمه الشاعر الفرنسي "هنري شومان" (١٩٢٢-٢٠٠٨) في لندن:

"إن حضور الأمسية الشعرية للسيد "هنري شوبان" (شاعر فرنسي) يشبه حضور عرض تهريجي هدفه الإدهاش. لأن التنويعات الصوتية التي مصدرها الحنجرة البشرية هي "النص". ولا يستهدف هذا معنى ما وراءها، بل هو معنى في ذاته. ولذلك تبدو رؤية الرجل على خشبة المسرح بين مكبريْ صوت على جانبيه، ومع لاقطة صوت تطبق على شفتيه، وحفنة انفعالات وتقلصات تتوزع وجهه ورقبته بفعل الجهد الاستثنائي الذي يتطلبه التنويع الصوتي، تبدو هذه الرؤية، لمتذوق شعر مثلي، أشبه بدعابة ثقيلة الدم. ولكن الإحاطة بأفق الشعر الغربي، والشعر الفرنسي خاصة تخفف من ثقل الدم هذا، وتمنح لهذه المحاولات الجسدية المتشنجة بعداً مقبولا. لأن نظرية "النص لذاته" لا تترك مجالا للتعامل معه على أساس المعنى الذي يتخفى وراءه أو بعيدا عنه...".

أحمد المهنا في الخميس الإبداعي

ذاكرة متوقدة في تاريخ صحافة قلقة

المدى الثقافي

ضيّف ملتقى الخميس الإبداعي الإعلامي احمد المهنا للحديث عن تجربته الإعلامية التي امتدت الى ثلاثة عقود،مستذكرا فيها محطات مضيئة من تاريخ الصحافة والإعلام العراقي والعربي، وتسلسل أحداث كانت تشكل تجارب مدهشة فيها معان تكونت عبر جهود وحث وإصرار ومحبة للعمل الإعلامي.

أدار الجلسة الناقد السينمائي صباح محسن قائلا: عند تخوم بغداد كانت الولادة، حصل على بكالوريوس لغة عربية من الجامعة المستنصرية عام ١٩٧٨ غادر البلاد عام ١٩٧٩ وامتهن الإعلام،تنقل خلال منفاه الذي دام ٢٤ عاما بين بيروت ودمشق ونيقوسيا ولندن وأبو ظبي، عمل في مجال البرامج والأفلام الوثائقية وكتب وقدم عددا منها، واصدر كتابا بعنوان (الإنسان والفكرة) عام ٢٠٠٠ عن الحضارة في القاهرة،عاد إلى العراق في نيسان ٢٠٠٣ بعد سقوط النظام المباد. بعدها قرأ الإعلامي احمد المهنا ورقة بعنوان (كلمات عن تجربة) حاول فيها أن يسلط الضوء عن حصيلة تلك السنوات التي طواها الزمن وأصبحت تاريخ رجل إعلامي متنوع الرؤى يمتلك كما هائلا من المعرفة الإعلامية في كيفية صياغة الأخبار والتحقيقات والتقارير، كذلك العمل على الفيلم الوثائقي وقال "يوميا في العمل الصحفي أمامك ثلاث صفحات بيضاء فارغة وعليك ملؤها بالأخبار والتقارير والتحقيقات والصور كل مساء،ويالراحة والمسرة،إذا قلبت الصفحات صباح اليوم التالي وكانت أمورها على ما يرام، عندها تضاء في داخلك مائة شمعة من جديد.

وأضاف المهنا في حديثه قائلا: وجدت خلال خبرة ثلاثة عقود أن إكساب المواد الصحفية حيويتها، شبابها إن شئتم، يتطلب التفاعل معها، دهشة، استغرابا، ألماً، انزعاجاً، حباً، صداً أو نفورا.

وأشار المهنا الى تحقيق صحفي مع احد الرؤساء اللبنانيين الراحلين: لاحظت في مرحلة ما من حياته أن تصريحاته وأعماله ضد المقاومة الفلسطينية اشتدت بطريقة واضحة بعد قيامها باعتقاله لساعات في احد مقراتها ببيروت، ودرت بالسؤال على المطلعين فعلا والمقربين حقا فلم احظ على تفسير مقنع، وفي تحقيقاتي عن الشخصيات أحاول العمل عن الشخصيات على طريقة المخطوف بحب من النظرة الأولى، فيترك كل شيء ويتفرغ لاصطياد الخاطفة وهذا ما مكنني من الوصول إلى الحقيقة.

وفي نهاية حديث المهنا كانت هناك مداخلات للشاعر عمر السراي والشاعر عدنان الفضلي والناقد الموسيقي ستار الناصر والروائي حميد الربيعي والأمين العام لاتحاد الأدباء ألفريد سمعان.

بأكثر من ١٠٠٠ عنوان

مشاركة فاعلة للمدى في معرض الدار البيضاء للكتاب

حضور متميز ومشاركة فاعلة لدار المدى شهدتهما الدورة الثامنة عشرة لمعرض الدار البيضاء للكتاب الذي اختتمت فعالياته أمس الأحد، وتميزت مشاركة المدى بحجم ونوعية العناوين التي تم عرضها في المهرجان.. وقال إيهاب عبد الرزاق مسؤول جناح المدى:

شاركت المدى بأكثر من ألف عنوان من إصداراتها التي تنوعت لتغطي بموضوعاتها جميع أجناس المعرفة من الفن والأدب إلى التراث والتخصصات العلمية. وأضاف عبد الرزاق أن إصدارات المدى حظيت بإقبال واسع ولافت من رواد المعرض لاقتناء الكتب المعروضة خاصة وأنها تلبي مختلف الاهتمامات، وهو الأمر الذي جعل إدارة المعرض تمنح جناح المدى مساحة إضافية لاستيعاب زخم رواده.

وأكد مسؤول الجناح أن العناوين المشاركة لم تقتصر على الإصدار الحديث للدار بل على عناوين صدرت للدار في سنوات سابقة وهو مؤشر على السمعة الطيبة التي تحظى بها مطبوعاتنا. وأوضح عبد الرزاق أن مشاركة المدى في دورة معرض الدار البيضاء تكرس صيغ التعاون بين الأخير وبين معرض أربيل الدولي للكتاب الذي تقيمه المدى.

والمعروف أن الاستعدادات اكتملت لإقامة الدورة السابعة من معرض أربيل الدولي للكتاب الذي سينطلق في الثاني من شهر نيسان القادم بمشاركة أكثر من ٧٠٠ دار نشر عالمية وعربية ومحلية، وستقام على هامشها العديد من الفعاليات الثقافية.